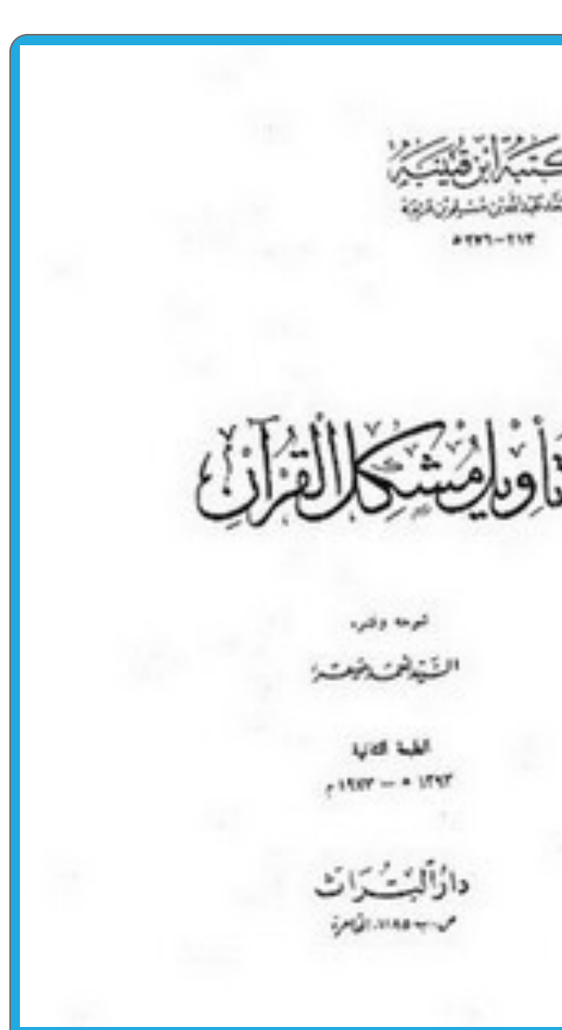

إعداد/ مريم الشهري

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي نَهَجَ لنا سُبل الرّشاد، وهدانا بنور الكتاب، {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: ١] بل نزَّله قيِّمًا مفصّلاً بيِّنًا {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] وشرَّفه، وكرَّمه، ورفعه، وعظّمه، وسماه روحًا ورحمة، وشفاء وهدى، ونورًا

وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حيل المتكلّفين، وجعله متلوًّا لا يُملُّ على طول التّلاوة، ومسموعًا لا تَمُجُّه الآذان، وغضًّا لا يخْلَق على كثرة الرد، وعجيبًا لا تنقضي عجائبه، ومفيدًا لا تنقطع فوائده، ونَسَخَ به سالف الكتب

وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «أوتيت جوامع الكلم» فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر

كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن
في (أخذ العفو): صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين
وفي (الأمر بالعرف): تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغضّ الطّرف عن الحرمات
وفي (الإعراض عن الجاهلين): الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السّفيه، ومنازعة اللَّجوج

كيف دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للأنام، من العشب والشجر، والحب والثمر والحطب، والعصف واللّباس، والنّار والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء
وينبئك أنه أراد ذلك قوله: {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}.

كيف دَلَّ على نفسه ولطفه، ووحدانيته، وهدّى للحُجَّة على من ضلَّ عنه؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتُّربة، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم، ولا يقع التَّفاضلُ في الجنس الواحد، إذا نبت في مغرسٍ واحد، وسُقي بماء واحد، ولكنّه صنع اللطيف الخبير

يريد اختلاف، اللُّغات، والمناظر، والهيئات

باب ذكر العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتسع المجاز

وألفاظ جميع الأمم: قاصرةٌ عن ثمانية وعشرين، ولست واجدًا في شيء من كلامهم حرفًا ليس في حرفنا إلا معدولاً عن مخرجه شيئًا، مثل: (الحرف المتوسط مخرجي القاف والكاف)، و(الحرف المتوسط مخرجي الفاء والباء)، فهذه حال العرب في مباني ألفاظها

ولو أن قائلاً قال: (هذا قاتلٌ أخي) بالتنوين، وقال آخر: (هذا قاتلُ أخي) بالإضافة، لدَلَّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلَّ حذف التنوين على أنه قد قتله

وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين فيقولون: رَجُلٌ لُعَنَةٌ، إذا كان يَلعنه الناس، فإن كان هو الذي يلعن الناس، قالوا: رجلٌ لُعَنَةٌ فحركوا العين بالفتح

وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين، كتقارب ما بين المعنيين كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة: شَرُوب، ولما كان دونه مما قد يُتجوَّزُ به: شَريب

كاشتقاقهم من البطن للخَميص: (مُبَطَّن)، وللعظيم البطن إذا كان خِلْقَةً: (بَطين)، فإذا كان من كثرة الأكل قيل: (مِبْطان)، وللمَنهوم: (بَطِنٌ)، وللعليل البطن: (مَبْطون).

الحكاية عن الطاعنين

باب الرد عليهم في وجوه القراءات

أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف، فإنا نحتج عليهم فيه بقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ، فاقرؤوا كيف شئتم».

باب ما ادعي على القرآن من اللحن

وأما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضي الله عنها في غلط الكتاب، وحديث عثمان رضي الله عنه: أرى فيه لحنًا، قد تكلم النحويون في هذه الحروف، واعتلوا لكل حرف منها، واستشهدوا الشعر

باب التناقض والاختلاف

باب المتشابه

وأما قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، من أراد بالقرآن لعباده الهدى والتّبيان؟ فالجواب عنه

باب القول في المجاز

وأما (المجاز) فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعّبت بهم الطرق، واختلفت النِّحَل

باب الاستعارة

فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مُجاورًا لها، أو مُشاكلاً، فيقولون للنبات: نوءٌ؛ لأنه يكون عن النوء عندهم
قال رؤبة بن العجاج:
وَجَفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزَقْ
أي: جفّ البَقْل

باب المقلوب

باب الحذف والاختصار

باب تكرار الكلام والزيادة فيه

باب الكناية والتعريض

باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه

باب تأويل الحروف التي ادُّعِي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم

باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة

باب تفسير حروف المعاني وما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف

باب دخول حروف الصفات مكان بعض